الثورة
الثقافي
www.althawranews.net

الأثنين 13 ذو القعدة 1435هـ 8 سبتمبر 2014م العدد 18190
Monday : 13 Thu-Alqeadah 1435 - 8 September 2014 - Issue No. 18190

12
العناصر الفنية في الأعمال الإبداعية لتوفيق الحكيم

13
المبدع اليمني مسكون بنرجسية كبيرة ودكاترة النقد الأدبي محنطون

رمزية الإرياني تبحث في الحكاية الشعبية اليمنية

تعد الحكايات الشعبية في اليمن من أكثر جوانب التراث الشعبي شيوعاً بين عامة الناس، فقد دأبت العجائز من الرجال والنساء على التربع كل أمسية لقصها للأطفال والكبار، وعلى سماعها في المقايل والمحافل النسائية والرجالية في المناسبات المختلفة كتراث مروي وليس مكتوباً..

ومن هذا المنطلق وهذه الأهمية التي يشكلها فن الحكاية الشعبية. .يأتي تأليف وصدور كتاب (الحكايات الشعبية في الأدب الشعبي اليمني..دراسة موضوعية فنية) للكاتبة والباحثة الأستاذة رمزية عباس الإرياني..

الكتاب جاء في أكثر من 230 صفحة من القطع المتوسط، وتوزعت مادته على اربعة أبواب..استعرض الأول الحكاية الشعبية والتراث الشفهي، وانواع الحكاية الشفهية..وتناول الباب الثاني السرد في الرواية الشفهية والرواية الخرافية..وفيما تطرق الباب الثالث للحكاية الأسطورة في الأدب الشعبي، توقف الباب الرابع عند وظائف الحكاية الشفهية، وتناول الفرق بين الحكاية السردية والحكاية الخرافية..

واختتم الكتاب/الدراسة بخلاصة اوجزت أهمية الحكايات الشفهية وأوردت النتائج الإيجابية لهذه الدراسة وما توصلت إليه الباحثة من رؤى لهذا الأدب الهام في حياة الشعوب.

المثقف وثقافة (الآخر)

خالد القرحي

سؤال يدور في عقول الكثير من المثقفين حول لماذا حتى المثقف قد يبدو متعصبا لفكرة ما حول قضايا البلد والمجتمع وعدم اتفاقه مع مثقف آخر رغم أن المجتمع يعول كثيرا على أدوار المثقفين في التقارب والبناء وحل أزمات البلد؟!

هذا السؤال مثير للجدل وغالباً يتم النظر للمثقف على أنه إما غير مبالٍ بقضايا بلده أو لا يطبق ثقافته بشكلٍ صحيح وبهذا تكثر الانتقادات ومحاولات تشويه البلد عن طريق القول أنه لا يوجد مثقفون في البلد.

إذا ما نظرنا للكم الهائل من الشهادات العليا التي أصبحت بالبلد والكثرة الوفيرة من الأدباء والإعلاميين والمدرسين وغيرهم من النشطاء الحقوقيين فسنكون غير منصفين باتهام بلدنا أنه خالٍ من المثقفين ومع هذا فنحن ننظر أيضاً إلى ماذا يقدمون وكذلك الحالة التي أصبحت فيها بلدهم لنحكم على مقدرتهم وأدوارهم وبالتأكيد مسألتهم حول ما يمتلكون من قدرة وأسباب عجزهم عن تنفيذ مهامهم.

سأحاول أن أضع نفسي بعيداً عن هذه الدائرة لأكون مع النظرية أكثر من كوني من المنظرين لأقول أنه لا يوجد ثقافة واحدة اسمها الثقافة الصحيحة بينما بقية الثقافات تعتبر خاطئة، ولكن يوجد هناك ثقافات متفاوتة بين الخطأ والصواب وكل مثقف قد ينتمي لأحدها او لبعض منها وبالتالي يحاول جاهداً أن تكون ثقافته هي الأصح , ولأنه في نظره (صاحب ثقافة معينة) يفهمها أكثر من غيرها فهو يلجأ لإثبات أن نظرياته التي يتبناها هي الأصدق دون غيرها محاولا تشويه ما ليس بيمينه..

المثقف في بلدنا يعاني كثيرا وهذا الشيء نعرفه جميعاً ولكن ما لا نعرفه هو أن هذا المثقف يضيع بين الكم الهائل من المُدعين للثقافة بمجرد أن امتلكوا القدرة على القراءة والكتابة والنظر للأشياء من زوايا ضيقة يعتقدونها قوانين ثابتة وخاصة بوجود قنوات التواصل الاجتماعي التي سهلت كثيرا على بروز المئات إن لم يكن آلاف الأصوات الصداحة القوية التي جعلت صوت المثقف أحدها وليس أقواها أو أجدرها مهما بنى أحكامه علمياً وأكاديمياً. يصبح المثقف هنا كقشة في كومة من القش الذي ينتقل من هنا إلى هناك مع كل ريح تهب مؤيدة لفكرة أو محاربة لأخرى .. المثقف نفسه في هذه الحالة يجد نفسه ضائعاً لأن صوته سيكون كغيره وقد لا يصل لمن يجب أن يسمعه كون الصوت المسموع هو الصوت المدعوم مالياً أو بحسب القوةً وربما يخضع لنفس قوانين الغاب المعروفة في كل مجتمع يطغى على مفاصله الفساد.

سيقول قائل لعلي أبالغ كثيراً لأن هناك أصواتاً مثقفة تصل للجميع ويحترمها الجميع، أتفق معه جداً، بالتأكيد هناك فئات من المثقفين في كل جماعة تصنع القرار ولكنها لم تضع اللبنة الحقيقية للبقية لكي يستطيعوا مجاراة ما يحدث من تغيرات وحضور ثقافات عديدة من خارج البلد وتطوير ثقافات أخرى بداخله، وبالتالي يصبحون مجرد مدافعين عن نفس الأفكار التي تسيطر على عقولهم أن تلك الثقافة سيئة وتلك الثقافة لا يجب أن تنتشر كثقافة في مجتمعنا، وهذا أيضاً صحيح إذا ما أغمضنا أعيننا عن شيء اسمه مجتمع مدني مزعوم أو ديمقراطية وحرية شخصية وقوانين حقوق الإنسان.. إلى آخره من القوانين الملزمة الخاصة باحترام كافة الثقافات، هذا الوضع يذكرني بكتيب صغير لجون بارقر 1972م بعنوان(طرق الرؤية)حيث يبين الكتاب طرق الرؤية المتعددة للحقائق من زوايا مختلفة وقد تتغير حقائق كاملة بمجرد تغيير زاوية الرؤية.. لا أحاول القول بأن مثقفينا لا يحاولون النظر للأمور بأكثر من زاوية ولكني أحب التأكيد على أنه حتى وإن لم ينظر المثقف للأمور من أكثر من منطلق وبمعطيات مختلفة عن تلك التي يعتقدها قوانيناً راسخةً في عقله فهناك ضرورة الالتقاء والتقارب مع من يحمل أفكاراً مختلفة عن طريق ما يسمى: (تقبل الأخر).

في هذا القرن وبسبب العولمة الاقتصادية والسياسية نتجت نظريات ما بعد العولمة التي تمحي ملامح المركزية والنظر على أنني(أنا) الأول والصائب بينما البقية مجرد آخرين يحق لي تهميشهم..أصبح الآن كل آخر أولاً في قانونه ولهذا سينظر للآخرين كهامش بنفس المنطلق وهذا بسبب الاختلاف الموجود بين الإثنين والاعتقاد بمركزية الرؤية..

المفكر إدوارد سعيد غالبا ما تناول مسألة (الاختلاف) كمحور أساسي لقبول الآخر كون المركزية لم تعد منطقية بسبب الفكر الإستعماري الذي انتهز هذه الذريعة للسيطرة على الآخرين..على المثقف أن يعرف هذه النقطة جيداً، ما يصنع الجدل والكراهية ويزيد من العنف هو أن هناك اختلافاً وهذا الاختلاف ناتج عن فكرة مغايرة ومعطيات قد تكون صحيحة أو ربما خاطئة بمنظورنا ولكنها ولدت ثقافة سيدافع عنها من يحملها مهما حاولت الإيقاع به فكريا أو سياسيا أو عسكرياً؛ إذن لا بد من تقبلها وليس بالشرط قبولها وهذا ما نسميه بالتسامح والتعايش وقبول الآخر ما دام يحمل ثقافة ينظر إليها كمحور نقاش وكمنهج حياة..

نسمع الجميع يتغنى بمصطلح التسامح ولكن في الحقيقة لا نجد أي نوع من أنواع الربط بين هذه النظرية التي وضع مثالها -دينيا- القرآن الكريم في نهاية سورة (الكافرون). وفي حد علمي أن الاختلاف الديني هو أكبر الاختلافات الموجودة في العالم ككل, فما بالنا باختلافات طائفية أو سياسية يمكن تقبلها والاجتماع على نقاط تقاربها الأساسية وتطبيق فكرة الحرية الشخصية التي هي المبدأ الأول من مبادئ الحداثة والتطور.. المثقف وحده من يستطيع توصيل هذه الرسالة للمجتمع ولمن بأيديهم القرار وإخضاع الجميع للحوار والنقاش الجدي لأجل المصلحة العليا التي تتمثل بمصلحة الوطن دون غيره ما دام الجميع يحمل نفس الترنيمة الخاصة بحب الوطن..

كل الاختلافات تتلاشى لوجود ما يربط وبدون أن يحاول البعض تشويه الأخرين: الدعوة للسلام ونبذ العنف والتجاوزات عن كل ما نعتقده من زوايا رؤيتنا مختلف كالمصالح الحزبية والطائفية.. ثقافة القبول بالآخر من منطلق أن الأخر لديه الحق أن يعيش ويفكر بنفس إمكانية فكرة أن الشخص الثاني هو آخر بالنسبة له ولا يوجد شيء مركزي سوى المصلحة العليا لهذا البلد..متى ما عرف المثقف هذا سيكون خطابه للجميع مختلفا ومتميزا عن تلك الأصوات المدعية المتداعية التي تبني كلامها على مجرد القدرة على الكلام وتهذيب الألفاظ بدون أي أساس علمي..

يكون المثقف ذو قيمة عندما يكون منصفا مهما كان انتماؤه السياسي وحتى الطائفي..لا أدعو المثقفين للحياد كما قد يقول الكثير ولكني أدعوهم لدعوة الجميع لتقبل (وليس بالشرط قبول) كل ثقافة وجدت داخل البلد ما دمنا أدخلنا الديمقراطية بأيدينا معتقدين أنها مجرد حرية وليس أيضاً وسيلة لاستيراد ثقافات من خارج البلد، ويجب التركيز على أن هذه الثقافات بإمكانها العيش معا والتعايش تحت سقف بلد واحد. يذكرني هذا السقف باسم نظرية مهمة جداً للكاتبة ماري لويس برات في كتابها (عيون امبريالية)1992م ,هو مربع الالتقاء (كونتاكت زون) كنظرية فلسفية منطقية جداً تعني لقاء وتعايش أكثر من ثقافة في منطقة واحدة بشكل تحدده العلاقات بينها وطبيعة المنطقة وهذا يذكرني أيضاً بنظرية صراع الثقافات لهينتقتون ومن قبله للمفكر المغربي مهدي المنجرة كحوار للثقافات ونظريات عديدة جدا تشرح هذه الامكانية لنبذ العنف والتطرف الكلامي والعسكري.. سرد هذه الأسماء ليس لمجرد القول بإمكانية تعايش الثقافات فقط أهمية نشر ثقافة التسامح والمحبة والتقارب وخطابي هنا يركز على تلك الطبقة من المثقفين في بلدنا على أن واجبهم ليس مجرد طرح ما يعتقدونه صحيحا فقط والدخول في مربع العنف اللفظي كأرباب كلمة ولكن واجبهم هو نبذ ثقافة العناد وكراهية (الآخر) والدعوة لتعايش الجميع بشكل سلمي مهما كانت الثقافات التي طغت على بلدنا بمجرد أن انفتح الباب لها آذنا لها بالدخول ونعتبر أنفسنا أخرين في هذا المنطلق مهما كانت مركزيتنا التي نعتقد بوجودها.

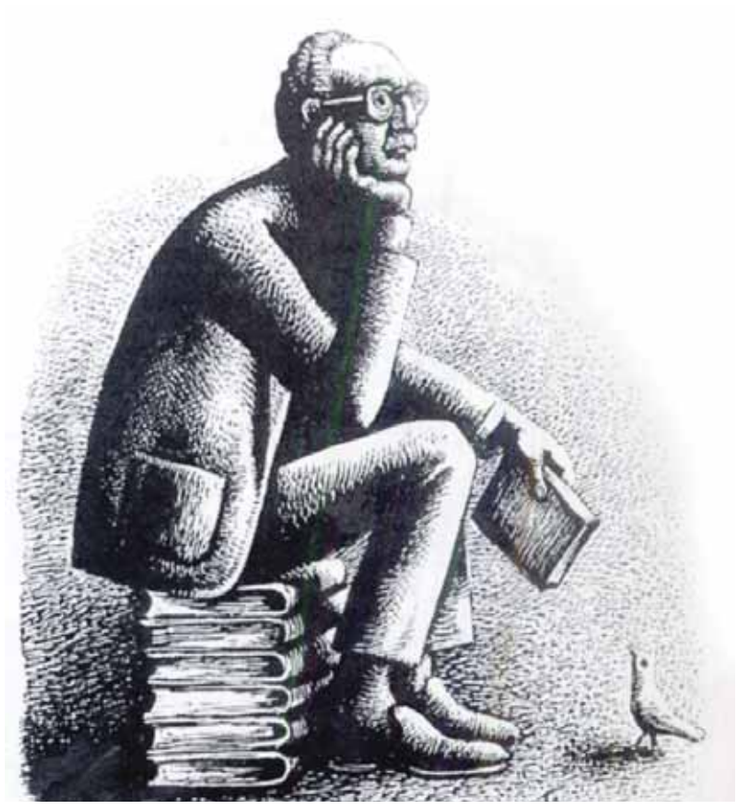

صديق الزوايا

حسن الشرفي

أعجبتني بأنها تتذاكى
وهي أغبى مني ومن ذا وذا كا
نسيت أننا التقينا فمنا
من بكى.. والذكي منهم تباكى
وذكرناك يا صديق الزوايا
وذكرنا في الطيبين أباكا
كان لا يملك الأزار وكانت
سنة لا تفارق الإضحاكا
ثم وافيت طافراً لم تمارس
في الميادين ما يهز الشباكا
وسألنا من أين جئت بهذا
كله.. ثم كنت حيث نراكا
كنت في الموقع السحيق فماذا
جد فيها حتى بلغت السماكا
قال من يعرف الأمور هنا في
عقرها من يشابك الأسلاكا
فيرى في بناتهم وبنيهم
من إذا شاء زلزل الأفلاكا
وأتى بالكنوز من أي ليلٍ
عائلي ولا يحس ارتباكا
وذكرناك حيث أنت وقلنا
كيف أصبحت في الأعالي سواكا؟
قل لنا يا وحيد قرنك ماذا
جعل البحر يرهب الأسماكا؟

. . . . . .

قال أي البحار تعني وما في
عاصف الغاضبين من جاراكا
للقرابات والصهارات سرٌّ
جد فيه من شاءه واجتباكا.

قصة قصيرة

البرق

وجدي الأهدل

خرجت سلطانة وخيزران لجمع العلف، وهما عائدتان هطل المطر بغزارة فاحتمتا في غار على طريقهما. وضعتا العلف في ركن جاف، وقعدتا على جلمود أسود فيه حبيبات براقة. مددتا قدميهما الحافيتين، وراحتا تتجاذبان أطراف الحديث وهما تمتعان بصرهما بمنظر الجبال المكسوة بالخضرة.. توقفتا عن الكلام حين ظهرت أمامهما ظبية مع رشئها، الظبية وقفت أمامهما غير آبهة بالمحافظة على المسافة المطلوبة للأمان، لم تضرب حساباً للمحاذير، ومن مكانها القريب كانت تنظر إليهما بعينيها الجميلتين بتركيز غريب. النظرة التي تشبه إنذاراً جعلت الدم يتجمد في عروق الفتاتين، حتى أن سلطانة لم تتمالك نفسها من القول: "مالها تنظر إلينا هكذا.. هل سنموت؟". ولم ترد الأخرى على تساؤلها بل لزمت الصمت، لأن الذعر كان قد عقد لسانها.

توارت الظبية وصغيرها بين الأحراش بينما الغيوم السود تمطر وابلاً عاتياً كأمواج البحر. سمعتا صوت طائر لم يسبق لهما أن سمعتاه من قبل، تساءلتا في نفسيهما هل كان طائراً؟؟ ليستا متأكدتين. ثم بغتة ضربهما البرق، نزل رأسياً وقلبهما على بطنيهما، ومزق الجلمود الأسود وحوله إلى شبارق، وأحرق العلف حتى صار رماداً. رأى الكثيرون نزول الصاعقة، فخرجوا بعد توقف المطر لتفقد آثارها. عُثر عليهما شبه ميتتين، فقام القرويون بإسعافهما. لقد نجتا، وعادت الروح التي انفصلت عنهما لفترة وجيزة إلى جسديهما. ولكن البرق أحدث في جسديهما ضرراً أشد من الموت: شقهما نصفين من الخاصرة، ونقل النصف الأسفل لسلطانة السمراء إلى خيزران، ونقل قدميّ خيزران البيضاوين وحوضها إلى سلطانة.

حين اكتشف زوجاهما الأمر - وهما شقيقان - وقعا في حيرة عظيمة ولم يلمساهما، وذهبا إلى القاضي وعرضا عليه المسألة، فأفتى القاضي بأنهما - سلطانة وخيزران - قد صارتا محرمتان عليهما، لأنه لا يجوز في الشريعة أن ينكح الرجل زوجة أخيه، وفي حالتهما اعتبر القاضي أن وجود نصف من جسم زوجة الأخ في جسم زوجة الأخ الآخر كالكل، ولذا طلب تفريق الأخوين عن زوجتيهما، ونصحهما بالتعجيل بطلاقهما. دب الصراخ والعويل في بيت الأخوين - شيعان وسنان- وناحت نساء القرية كلها حين علمن بالخبر. بدا وكأن أعمدة الدار قد تداعت وهوى السقف فوق رؤوس الكبار والصغار، حتى الأبقار والغنم في الطابق السفلي جافاها النوم وصدرت عنها ضجة تنبئ بمشاركتها الوجدانية في المناحة.

رحلت سلطانة إلى قريتها المضطجعة على ساحل البحر الأحمر، وأمضت أوقاتها ساهمة عند الشاطئ تراقب قوارب الصيادين تروح وتجيء في عرض البحر. وكذلك خيزران رحلت إلى قريتها التي تقع في قمة جبلية شاهقة تعانق السحاب وتعشش فيها النسور.

تزوجت سلطانة من الأخ الأصغر (سنان) قبل عام، وحين ضربها البرق كانت حاملاً في الشهر السادس، لكن حركة الجنين في أحشائها دللت على أنه لم يلحقه الأذى. الأخ الأكبر (شيعان) تزوج الأولى ثم طلقها لأنها لم تنجب، ثم تزوج الثانية وطلقها لنفس السبب، وكذلك فعل بزوجته الثالثة، ثم تزوج خيزران التي أنجبت له ثلاثة أبناء، ولما ضربها البرق كانت بوادر الوحام قد ظهرت عليها.

أسودت الدنيا في عينيّ الشقيقين وأثقل الحزن قلبيهما. ثم دلهما قريب لهما على رجل صالح متصوف له خوارق وكرامات يُعرف باسم (صائم الدهر) وقال إن مشكلتهما لن تستعصي عليه، فسعيا إليه محملين بالهدايا، وحين قابلاه بركا عند قدميه وترجياه أن يكشف الضيق الذي وقع عليهما. طلب (صائم الدهر) إمهاله ثلاثة أيام، ثم احتجب في خلوة لا يدخل عليه أحد، وفي اليوم الرابع خرج من خلوته وقال لهما: "أنتما صيادان؟". رد شيعان: "نحن فلاحان، ولكن إذا فرغنا من أشغالنا ننزل إلى الأودية لنصطاد الظباء". قال صائم الدهر: "توقفا عن صيد الظباء البتة". قال شيعان: "نفعل إن شاء الله". تابع صائم الدهر: "وعليكما كفارة". قال سنان وقد انعقد حاجباه: "ولماذا الكفارة..هل صيد الظباء محرم؟؟". تجاهل صائم الدهر اعتراض الأخ الأصغر وقال: "على كل واحد منكما أن يطعم ستين مسكيناً..افعلوا ما أمرتكم به ثم ارجعوا إليّ" ثم مضى ولم يزد حرفاً. التزم الشقيقان بكلام الرجل الصالح فامتنعا عن صيد الظباء وأطعما مائة وعشرين مسكيناً، ثم عادا إليه والأمل يحدوهما بقرب الفرج. احتجب صائم الدهر مرة أخرى في خلوة مدتها ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع خرج للقائهما بوجه بشوش وقال: "الأمان في الأرض والرضا من السماء". لم يفهما مقصده فلزما الصمت. سها صائم الدهر برهة ثم تابع قائلاً: "عليكما إحضار زوجتيكما إلى نفس الموضع في اليوم ذاته من العام القادم، اتركاهما لوحدهما، ولسوف يرد البرق بمشيئة الله لكل واحدة اللحم والعظم الذي يخصها". لاحت تباشير الفرح على محيا الشقيقين. قال شيعان: "نذر عليّ إذا تم الأمر كما تقول كسوة عشرة أيتام وإطعام ستين مسكيناً". ونذر سنان كنذر أخيه.

وضعت سلطانة مولودها البكر وكان ذكراً سمته (جيلان). وبعدها بخمسة أشهر ولدت خيزران بنتاً سمتها (محاسن). وأقبل موسم الأمطار الصيفية واخضرّت الأرض من جديد، وسافرت الزوجتان سلطانة وخيزران إلى قرية زوجيهما. وفي الوقت المعلوم ذهبتا إلى الغار، وجلستا كجلستهما السابقة، وانتظرتا مرعوبتين. الشقيقان شيعان وسنان كانا يراقبان من قمة مرتفعة في الجهة المقابلة، وكذلك فعل المئات من القرويين الذين تركوا أشغالهم لرؤية ما سيؤول إليه أمر المرأتين. قرب الظهيرة أظلمت الدنيا وغشي الجبال ضباب كثيف حتى ليعجز المرء عن رؤية يده. تحرك البرق في قبة السماء وسُمعت دمدمة مفزعة، وما هي إلا لحظات حتى انهمر الغيث مدراراً. سلطانة وخيزران كانتا ترتعشان من شدة الخوف وتوشكان على الهرب كلما لاح ضوء البرق. قصف الرعد لوحده كان كافياً أن تريا الموت بين عينيهما. ضرب البرق شجرة طلح - كانت في مرمى بصرهما - فأحرقها وشطرها طولياً إلى نصفين، وتصاعدت منها ألسنة اللهب كلهاة خازن جهنم. بكتا وأخذت كل واحدة توصي الأخرى، وشعرتا بأن البول يكاد يُفلت منهما من هول ما هما قادمتان عليه. كان الزوجان ومعهما طائفة من الرجال والنساء يبتهلون إلى الله أن يخرجهما بسلام من المحنة.

سمعتا صوتاً يشبه صوت الطائر كالمرة السابقة، فاتسعت حدقتاهما بشدة وأدركتا أن الضربة قد أزفت. رأى الشقيقان ومن معهما من القرويين البرق يُضيء الغار ومن عمود البرق نزل ديك من لهب دار بسرعة شديدة في ذلك التجويف، ثم بلمح البصر اختفى بانتهاء شحنة البرق.